الممارسة الأكاديميّة في معهد الآداب الشرقية

تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها مِثالًا

إعداد: جرجورة حردان

توطئة

المقال شهادة من أحد قدامى طلاب المعهد واساتذته وباحثيه، عاش الجوّ الأكاديمي فيه ما يقارب نصف قرن، وواكب منهجيّة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ما يقارب ثلاثة عقود.

المقدّمة: الممارسة الأكاديميّة

تندرج هذه الشهادة في مسار الممارسة "الأكاديمية" التي أبصرت النور مع أفلاطون وسُمِّيَت باسم الصرح الفلسفي الشهير الذي انشأه في أثينا في القرن الرابع قبل الميلاد، وقدّر لها أن تشكّل مدى العصور، حتى يومنا هذا، عنوانا ومرجعًا للمؤسسات العلميّة التي اعتمدت نهج المؤسس، وعمل الفِرَقِ المُحيطة به، وتصرف الطلاب المقبلين على تعاليمه.

وترتكز الممارسة "الأكاديميّة" على ثوابت جوهرية أهمُّها نقل المعرفة التي اجمع عليها علماء الاختصاص، وبث المستجدات التي تمت فيه على ايدي الأساتذة/الباحثين، وكل ذلك بمقاربات تربوية، تفاعلية، وتوليدية، وفي جو "ورشات عمل" لا تتوقف ويشترك فيها جميع العاملين في إطار المؤسسة الأكاديمية.

1- شهادة الطالب: معهد الآداب الشرقية صرح أكاديمي

اكتشف الطالب خلال فتر ة دراسته بأن المعهد بعامة كان يُشْعِر كلّ من اجتاز عتبته بهيبة الصرح الأكاديمي المميّز، بمديره والفريق التعليمي والإداري الذي يحيط به، وبمدرّجه وقاعاته العريقة، وبهوه الرحب، والمكتبة الشرقية التي تمده، كما تمد لبنان والعالم، بكنوز مجلداتها ومخطوطاتها.

وعاش كل مادة اختارها كأكاديمية مصغّرة بأعلامها، ومرجعياتها، وعمالقتها، واجواء التفاعل، والتداول، والمناقشة فيها. ولم يكن الشغف بالمعلومات العلمية العامة المتداولة التي تصله في جو تفاعلي استكشافي فحسب، بل بآخر نتائج الأبحاث التي يُطلِعُ الأساتذة الباحثون طلّابَهم عليها، إمّا قبل نشرها او بعده بقليل.

وما زاده شغفًا بمساره التحصيلي ثنائية اللغة العربية الفرنسيّة المعتمدة في الدروس، إذ كان التوازن التام قائمًا بين المؤمّنة منها بالعربية والمؤمّنة بالفرنسيّة، مما جعل منه ومن زملائه، فيما بعد، ثنائيين "متوازنين"، على حدّ مصطلحات ميدان الثنائية، في لغة تدريسهم وأبحاثهم.

2- شهادة الباحث

أما شهادة الباحث فتنحصر في "ورشة عمل أكاديميّة" أطلقها مركز الأبحاث والدراسات العربيّة في أواسط السبعينيّات، بمباركة مدير معهد الآداب الشرقيّة وتشجيعه، تهدف إلى إعداد طريقة جديدة لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وكان المركز لايزال في حينه مرتبطا أكاديميًّا بالمعهد، قبل أن ينتقل في أواخر السبعينيّات الى كنف معهد اللغات والترجمة الذي أصبح فيما بعد كلّيّة اللغات والترجمة. وأدت الورشة إلى نشر طريقة *"من الخليج إلى المحيط"* بجزئيها: ديديه – هاتيه (Didier-Hatier)، باريس، 1979، 1980، فقدر للباحث المبتدئ ان يشترك في إعدادها (راجع الملحقين 1 و2)

ويشكّل إعداد "*من الخليج إلى المحيط"* مثالا ساطعًا على الممارسة الأكاديميّة البحثية في المركز والمعهد:

- **تحديد الهدف**: إعداد طريقة جديدة تتناسب مع التطورات العلميّة والتربوية، لا تنطلق من صفر، إذ يمتاز البحث الأكاديمي بارتكازه على العريق الثّابت، بل من طريقة كان المركز يعتمدها وكانت لا تزال بألف خير: "cours de langue arabe" المعروفة بطريقة "الجَمَل" (راجع الملحق3)؛

- **تهيئة الجوّ العلمي:**

وقامت التهيئة على استكشاف الأحدث اكاديميّا في مجال البحث، وساهم فيها رواج الألسنية ودروسها وابحاثها في المعهد الذي كان سبّاقًا، على مستوى العالم العربي، في إدخالها في برامجه التعليميّة، ووقع اختيار المنهجيّة التركيبيّة-الإجماليّة السمعيّة-البصريّة للطريقة المنوي إعدادها، فدعا مدير المعهد أحدَ ركني واضعي المنهجية، الى زيارة اكاديمية إلى بيروت، فرحّب بالمشروع واعدًا بمواكبته.

- **تشكيل فريق العمل:**

أمّا تشكيل الفريق، إذ يزداد البحث الأكاديمي متانةً وموضعَ ثقةٍ إن جاء على يد فريق كفؤٍ متجانس وملتزم، فاتبع المعايير الأكاديميّة المعروفة، فترأسه أستاذ متمرّس في البحث والتعليم، يحيط به عدد من الاساتذة المتخرجين المبتدئين.

- **الإعداد:**

كان من المفروض أن يكون الإعداد سهلًا، إذ كان مطلوبًا فقط تطبيق المنهجيّة التركيبيّة-الإجماليّة السمعيّة-البصريّة التي وقع الاختيار عليها، غير أنّ صعوبة كبرى ما لبثت ان اعترضت الفريق، وهي افتقار اللغة العربية إلى إحصاء لغوي شبيه بالإحصاء المتوافر في اللغات الغربية التي طُبِّقَتْ على طرائق تعليمها المنهجيّة الجديدة، حيث يعتمد مؤلّفو الطرائق، في تدرّج المفردات، على الدراسات الإحصائية التي أنْتَجَت ما سمّي ب"اللغات الأساسية"، ولا سيما على لوائح التواتر (Listes de fréquence) ونتائج استقصاء المتناول (enquêtes de disponibilité)، التي أفرزتها تلك الدراسات فأقرّوا، للأمانة الأكاديمية، بالصعوبة، ولكن الواجب الاكاديمي ذاته حثّهم على البحث عن حلّ؛

وكادوا ان يجدوا ضالتهم في "مشروع تحديد اللغة العربية الأساسية" الذي كان المعهد قد التزم بتنفيذه، بالاشتراك مع المركز التربوي للبحوث والإنماء، قبل سنتين من البدء بإعداد الطريقة (راجع الملحق4)، غير ان المشروع توقف ولن يُنْجَز حتى اليوم:

فحاولوا التغلب على الصعوبة باستعمال القليل المتوافر اكاديميًّا كالاستعانة ببعض لوائح التواتر المحدودة المنشورة، وكاستعمال المفردات الدالة على واقع ملموس للاستعاضة بها عن لوائح استقصاء المتناول.

- **المساهمة في المنهجية المستورَدَة**

وعملًا بالتقليد الأكاديمي الذي درج عليه المعهد، لم يكتف فريق العمل بتطبيق المنهجية على حذافيرها، بل قادهم تقييمهم لها الى العثور فيها على نقص كبير تشكو منه، وهو افتقارها إلى مقاربة لتعليم الخط، إذ بقدر ما جاءت مستجداتها على صعيد الشفهي رائدة، بل ثوروية، بقدر ما جاءت اقتراحاتها، على صعيد الكتابة، تكرارا للاقتراحات التقليدية، فعملوا على إعداد منهجيّة فريدة لتعليم الخط، تعتمد على الموسيقى والإيماءات التي توحي بها رسوم الابجدية العربيّة، فلاقت استحسانًا لدى المتعلمين ولدى متابعي إعداد الطريقة من ارباب المنهجية العامّة الذين ما لبثوا ان اقترحوها على فرق مؤلّفي الطرائق الي أُعِدَّت بعد "من الخليج إلى المحيط"

الخاتمة

والسؤال المطروح اليوم: هل وكيف ستدخل الممارسة الأكاديمية الهادفة إلى الإبداع والإنتاج، عن طريق المقاربات التربوية، والتفاعلية ومحورها الإنسان، إلى عالم الرقمية ومحورها الذكاء الاصطناعي؟